

تتميم

- « لتكن غايتنا في الحياة - بلادنا
- « بلادنا وحدها »
- « وبلادنا كلها »
- « ولا شيء الا بلادنا »

مؤرانييل

في الفصل الاول من الكتاب رأينا كيف دخل الانجليز مصر وكيف دخلها قبلهم الاتراك . ثم كيف صار بعضهم ابعض ظهيرا ، وقلنا - ان الاستعمار التركي قد اختفى حكامه - وبقيت تقاليد وشعائره وأحكامه .

ولكى نمصر مصر . . لابد من أن ننفي عنها هذه البقايا - ونظهر حياتها من تلك الشعائر والأحراش وذكرنا ان الطريق لهذا - هو الحرية الفامرة ، وتقويم شخصية الشعب ، وشد وئاد الكرامة والكبرياء فيها - وفي هذا الفصل نتدارس الوسائل الفعالة التي نمصر بها مصر من الاستعمار البريطاني .

وخلق بنا أن ندرك بادي الامر ، أننا حتى اليوم لم نحدد وعينا لهذا الاستعمار ، ولم نحدد الوسائل المجدية في مكافحته وطرده . . ولعل سبب ذلك اننا لم نؤت بصرا كاملا بأخطاره وأوزاره ومداوله .

فالكثرة الفالبة منا تولى وجهها شطر الجيوش الرابضة في القتال . ثم تتميز من الفيض . وتظن أن هذا الاحتلال المسلح هو وحده - الاستعمار البريطاني

علينا أن نتعمق في فهم هذا الاستعمار ونفوضه .

وعلينا قبل الخطوة الاولى أن نعلم أن هذه الجيوش المعتدية التي « برطنت » منطقة فايد ، جعلتها مدينة انجليزية كبرى هذه الجيوش التي تسبب لنا الضنك والغلاء بما تستهلكه من منتجاتنا الزراعية استهلاكا تنوع بحمله الأرقام .

هذه الجيوش التي تطأ بنعالها كرامة الشعب وطموحه - ليست الاحتلال البريطاني ، ولكنها فقط مظهر من مظاهر الاحتلال . ومن الممكن جدا أن تجلو القوات البريطانية عن ديارنا . .

ويظل جاثما ينشر وباءه وبلاءه . وانه لأمر مؤسف أن تنفيب هذه الحقيقة عن بصائرنا . .

الا تذكرون الايام الغبية التي حشدت الدولة فيها كل مظاهر الحفاوة والفرح بعيد الجلاء . . جلاء بضع كتائب عن (القاهرة) فهللنا وكبرنا ، ونحن نعلم انها استمسكر على بعد خطوات . . ؟ !
لقد كانت هذه الظاهرة ، ولا تزال آية على اننا نحس حقوقنا احساس العبيد لا احساس الاحرار . ولقد كان مثل الانجليز معنا بهذا الجلاء . كمثل لص تسور الابواب ، واقتحم الدار على أهلها ، واشاع في البيت الرعب والفساد . . ثم أخيرا تفضل وتكرم ، وقرر أن يدع لأهل البيت غرفة النوم . . ويذهب هو ببقية الحجرات . . !

فلننظر الى الاستعمار نظرة واعية شاملة . ثم لنمض في طريق اجلائه أو افئائه .

النفوذ ، والاحتلال

قلنا : ان الاحتلال العسكري لمصر مظهر من مظاهر الاستعمار - ولا يزيد . . وهو وان يك أكثر المظاهر بشاعة ودناءة ، وأفعالها في اثاره كوا من الحقد والثار - الا أنه لا ينبغي أن يشغلنا به وحده عن بقية المظاهر والآثار . . بل يجب أن يتجه كفاحنا إليها جميعا بعد حصرها وتحديدتها . .

والاستعمار يعتمد هنا على شيئين .

أ - النفوذ السياسي . .

ب - الاحتلال العسكري . .

ولنبدا بالحديث عن أولهما . . متتبعين نقط ارتكازه ثم باحثين عن طرائق ابادتها واجتثاثها . .

النفوذ السياسى .

ان بريطانيا تسيطر على حياتنا ووجسودنا سيطرة سياسية
محيطة .. وآراؤها ، وخططها هي عجالات الآلة الدوارة . .
ونحن - شعبا ودولة - لسنا اكثر من الصسوت الخارجى لهذه
المحطات ..

اننا امة لا نريد .. بل يراد لها ..!

● يراد لها ان تنشئ جامعة عربية ، تزيدنا وهنا على وهن ،
فتنشئها ..

● ويراد لها ان تبرم معاهدة لتؤكد مشروع عيسية الاستعمار
فتبرمها ..

● ويراد لها ان تخوض حروبا مرتجلة ، فتخوضها ..

● ويراد لها عام «١٩٢١» ان تدخل فى مفاوضات مع
مستعمرىها لتمزق وحدتها ، فتدخل فيها ..

● ثم يراد لها الدخول فى مفاوضات اخرى - هي امتداد
لنفس المفاوضات القديمة جدا .. فتسارع وتتهاقت ..

● يراد لها ان يحكمها هذا الحزب ، فيحكمها .. ثم تتغير
المشيئة ، ويراد لها ان يحكمها حزب آخر ، فتتم الامور على
ما يراد ..

ونحن فى كل هذه النقل والتغيرات والاحداث نظن اننا
نتحرك بارادتنا ، ونفكر بعقولنا ونقف على ارجلنا ..!

ان تطهير «الارادة المصرية» من هذا النفوذ السياسى ، لا يقل
اهمية عن تطهير «الارض المصرية» من الاحتلال المسكرى - فاذكروا
هذا جيدا . ودعونا نسال : على اى شىء يرتكز النفوذ البريطانى ؟ .

هذه نقط ارتكازه ..

١ - المعاهدات :

عند ما يريد الاستعمار استهباداً واستثمارها يحاول جاهداً أن يربطها بمجلمته عن طريق صك عبودي - يسمى في اللغة المظلومة . . « المعاهدة » ! وبريطانيا تعلم أن هذا المصير الذي تمشيه الانسانية ليس عصر احتلال بالجيوش . فالشعوب تنفر من رؤية الفزاة يروحون في بلادها ويجيئون . . لذلك فهي تستمض عن الاحتلال العسكري بالاحتلال السياسي - اى بالمعاهدات .

وعن طريق المعاهدات يصلون الى كل الافراض التي كان الاحتلال المسلح يحققها لهم

فباسم المعاهدات يحرمون حليفهم من التسليح . .

وباسم المعاهدات - يثرون في الشعب الحليف كل انواع الفتن والمؤامرات . .

وباسم المعاهدات - تجتاز طائراتهم المناطق الحرام عنوة واقتساراً . .

وباسم المعاهدات - يحاصرون قصر الملك الذي تحالفهم حكومته . . .

وباسم المعاهدات - تؤخذ اقوات الشعب وخيراتهم ليطلعهم بها الجيش المحتل - ولتباع الى الدول المصادية التي انشأها حلفاؤنا انشاء لتكون لنا شوكة الجنب على الدوام . .

وباسم المعاهدات يجترح الاستعمار - وهو يتسم - كل المقابح التي كان يقتربها ، وهو يزمر . . !

والدليل الذي ليس بعده دليل على أن المعاهدة هي بديل الاحتلال العسكري . . تشبث بريطانيا بعقدها معنا .

لقد كنا حسب أننا خلقنا فقط لننالم . . ثم نموت . . بيد أننا

تبينا أخيرا - أننا خلقنا لنتألم ، ونحالف بريطانيا .. ثم نموت !
لماذا نحالفها .. ؟ وهل تشجع سوابقها على بناء حلف معها . ؟
لقد حالفناها بمعامدة « ٢٦ » وكان لهذه المعامدة معنا قصة
البغاء التي تجيد جميع اللغات .
أو تعرفونها معشر الزعماء . ؟
اقرأوها ، فقد ترون فيها فائدة ودرسا ..

رووا - أن رجلا كان يملك « ببغاء » أعياء غباؤها المطبق ،
فاجتهد أن يعلمها فقط هذه العبارة « لاشك في ذلك » !
ثم خرج بها الى السوق ونادى :

- من يشتري ببغاء تتكلم بجميع اللغات .. ؟ - وساق
الحظ اليه زبونا مغفلا تقدم اليها وسألها :

هل تجيدين جميع اللغات . ؟ أجابت : لاشك في ذلك .. !
فاستخفه الطرب ، ونقد صاحبها كل ما معه من مال -
وهناك في قصره الكبير ، أقام لها حفل استقبال دعا اليه
أصدقاءه من كل نحلة ولسان ،

وبعد تناول المرطبات قدم اليهم ، أو قدمهم الي ببغاء
الشرف والكمال .. وأخذ كل منهم يخاطبها بلسانه . وهي
لا تجيب بغير هذه العبارة - لاشك في ذلك .. !

وأدرك صاحبنا هول الكارثة - فلما انصرف الضيوف اقترب
منها في خطوات متهاككة ودار بينهما هذا الحوار : -

هو - اذن ، فأنت لا تعرفين شيئا .. ؟

هي - لاشك في ذلك .

هو - واذن فأنا مغفل مخدوع . ؟

هي - لاشك في ذلك ..!

وحملها من فوره ، ومضى يبحث عن بائعها حتى اهتدى
اليه - وهناك اجلسها امامه وسألها : -

- ان بائعك هذا افاق وغشاش - اليس كذلك .. ؟

اجابت - لاشك في ذلك !

قال - ويستحق الزجر والعقاب .. ؟ اجابت : لا شك
في ذلك .

وقذف بها في وجهه ، واسترد ثمنها ومضى ..

البيت قصة هذه البغساء هي بالضبط قصة معاهدة «٢٦»
مع فارق هام .. هو ان مخدوع البغاء مسح الاهانة عن نفسه ،
واسترد حقه المنهوب ..

لقد رجع زعمائنا الينا ذات يوم يحملون معاهدة جعلوا منها
« ملكة جمال » المعاهدات ..!

وفي غمرة الحفاوة بها ، وقبل ان يجف مدادها سألناها :

- ايجوز ان يبيضا الانجليز غداة توقيعك ذخيرة «كذابة» . ؟
اجابت : لاشك في ذلك !

- ايليق ان يتخلوا عن التزاماتهم نحونا في معركة
فلسطين ؟

اجابت - لاشك في ذلك !

- ايجوز ان يتقاضوا منّا من اسلحة .. ثم يحتنون بالمهد
ويبيعون السلاح لاسرائيل ؟

اجابت - لاشك في ذلك !

- ايجوز ان يشيدوا في بلادنا مدائن باذخة ، بعد ان كانوا

يسكنون قصرا متداعيا على ضفة النيل . . ؟

اجابت : لاشك في ذلك .!

أيجوز أن يمخروا مياهنا لحاملين البترول والمعدات
لإسرائيل التي لا تزال تتربص بنا . . ؟

اجابت : لاشك في ذلك .!

— اذن ، فلست معاهدة شرف واستقلال . . ؟

اجابت : لاشك في ذلك .!

— واذن ، فنحن مغفلون مخدوعون . . ؟

اجابت — لاشك في ذلك .!

ان كل معاهدة تقعد اليوم ، او تبرم غدا مع بريطانيا لن تكون
احسن حظا من سابقتها

وان الطريق الوحيد المفضى لعهد شريف ابي عزيز ان يجلو
عن بلادنا النفوذ السياسي والاحتلال العسكري لبريطانيا .
ثم بعد ذلك ن فكر بعقولنا ، ونريد لانفسنا بانفسنا . . اما معاهدة
يساومنا بها المستعمر على استقلالنا فاهون منها عدوها . .
وبقاء الاستعمار غير متلفع بأردية كاذبة خادعة من الاتفاقيات
والمعاهدات .

أيجوز بعد كل هذا أن نحالف الذين جعلونا سخرية وهزوا ؟

لقد خادع حلفاء الرسول حليفهم مرة واحدة ، فقطع الله
حبال هذا العهد في سورة عاصفة ابي ان يداها بيسم الله الرحمن
الرحيم حتى تأخذ طابع القسوة والازدراء والهجوم فقال تعالى:

« براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين »

ثم رسم الخطة لتنفيذ هذا الفسخ فقال :

« خذوهم . واحصروهم . واقعدوا لهم كل مرصد » .
وانجلترا نفسها تأست بالقرآن في ظروف مشابهة . . مع انها
كانت تمثل جانب البغي والعدوان . . فحين هب رشيد عالي
الكيلاي في وجهها قالت : هذا خرق للمعاهدة . وبعد ساعات
كانت السماء تمطر جنودا حاربوا العراق حربا خاطفة عسيفا
ولقد كان الوضع الطبيعي ، وقد خرقوا ما بيننا من عهد أكثر
من مرة أن نصنع ما كانوا لابد صانعيه وانهم مكاننا - فناخذهم
. . ونحصرهم . . وتعد لهم كل مرصد وطريق .

قد يقال : ان بريطانيا اليوم غيرها في الامس البعيد والقريب
- بريطانيا العمال - غير بريطانيا المحافظين الا فلنستمع اذن لآية
فاصلة من انجليزى عريق تمرد على سياسة بلاده وحرص عليها
جميع البشر وكشف للناس عن « ثعبانيتها » وتاصل الغدر فيها
- ذلكم هو توماس بين

فلننصت لكلمته . . ولنحفظها ولنلقنها صفارنا والكبار . .

« هل تستطيع ان ترد الى الامس طهارتها الاولى . . ؟ ان
السياسة البريطانية كذلك - فقدت الى الابد شرف القصد ،
وطهارة الضمير » !!

ولكن قد يقنعنا الانجليز بأن « بين » كان رجلا ابقا عاقا . .
فلندرس اخلاق سياستهم اذن على ضوء عبارة اخرى قالها
قطبهم الاكبر « دزرائيلي » واتخذوها مبدا وشعارا - تلك
هي : -

((اكذب . . . واكذب . . . ثم اكذب دائما ، فلا بد أن تجد من
يصدقك)) !!

ان الانجليز لا يصلح معهم عهد ابدا - الا اذا كان مع قوم

أولى بأس شديد يخسافونهم ويرهبونهم . .
ونستطيع أن نفترض حسن نيتهم إذا عاهدناهم من جديد ،
وننسى طفاوتهم وفسادهم الكبير . . ولكن مع هذا أيضا لا يكون
من صالحنا قط أن نتخذهم حلفاء أو أصدقاء . .
لماذا . . ؟

لأن الانجليز تعودوا دائما أن يتخذوا من حليفهم « كبش
الفداء » ولقد ذاق الأمريكان أنفسهم مرارة هذه التجربة ،
وسربوا غيظهم أيام الحرب الأخيرة في سخريات . . فمثلا :
دخلت سيده أمريكية المسرح ، فوجدت الجنود الانجليز يحتلون
جميع المقاعد الامامية ، فقالت :

— ان الانجليز في المسارح يحتلون الصفوف الامامية —
ويتركون الخلفية لنا — ولكنهم في الميدان يحتلون الصفوف
الخلفية ، ويتركون الامامية لابنائنا . . !

هذا تعبير رائع ، وفهم دقيق لأخلاق الانجليز فالمعاهدات التي
تربط الضعيف بالقوى ستكون من باب أولى غير متكافئة ،
وستكون ثمرتها مشروعية الاحتلال وأحر بنا أن يحتلنا
الانجليز باكراه ، من أن يحتلونا بمعاهدة ورضا واختيار .

شاهد من أهلها

ثم ان أى معاهدة جديدة تربطنا بالانجليز ، سيكون عصبها
الدفاع المشترك . . وهذا الدفاع المشترك . . كائنا ما كان اسمه
وطريقته — يقف في الواجهة المغايرة للسيادة والاستقلال . .
ولسنا نحن الذين نقول ذلك — بل هو السيد « بيفن » نفسه
— والى زعمائنا الأبرار . . تقدم هذه العبارات التي قد تنير
لهم الطريق .

فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ - وقف مستر بينف يخطب فى
مأذبة الغرفة المصرية البريطانية فقال مخاطبا الاعضاء المصريين :
« . . . ولكن يجب أن يبقى ما ندعوه بالدفاع المشترك . لأنه
لا غنى لأحدنا عن الآخر - وأن الاستقلال آت لا ريب فيه . ! »
اذن فالدفاع المشترك شىء آخر ينافى الاستقلال ولا يظاهره
وبينف يريد منا سنة ١٩٤٥ ان نوافق على الدفاع المشترك .
ويطمئنا على ان الاستقلال آت فى ميقات مجهول . . . قد يعلمه
« بينف » ولكن المصريين آخرا الذين يعلمسون . . . والذين
لا يعلمون . . . !

وبهذا المقدار من الحديد نرجو ان نكون قد وقفنا على مافى
التحالف مع الانجليز من غرم وبوار .
وسنتحدث عن وسائل الخلاص بعد ان نتم سرد بقية
القواعد التى يرتكز عليها نفوذ الاستعمار .

ب - الأرجاف بالشيوعية والحرب

ان بريطانيا المومس - لن تسترد طهارتها الاولى - هذا اذا
كانت السياسة البريطانية قدأتى عليها حين من الطهر والنقاء ،
انظروا . . . ان اسلوبها الاستعماري لم يتغير . . .
والاحفاد من ساستها يسرون وراء الاجداد حذو النعل . . .
بالنعل . . .

فيوم دخلت بلادنا لأول مرة . زعمت انها آتية لتثبيت سلطنة
الباب العالى ، وطرده الفرنسيين الطغاة . . .
وكانت انجلترا يومئذ تتزعم حركة مقاومة عنيفة للثورة
الفرنسية . . . ولما يمكن ان يترتب عليها من تغيرات اجتماعية
خطيرة . . .

ويوم استولى هتلر على حكم بلاده . . . وقف رئيس وزراء
بريطانيا آنشد وقال : -

« يجب ان نعاون الالمان على النضو والتسلح حتى نشرد بهم من وراءنا من الروس الخطرين . »

وفي سنة ١٩٣٦ - بدأت انجلترا نفسها فتزعم مقاومة عاتية ضد النازية - وضحكت علينا يومها واختلست منا توقيعها على معاهدة فاشلة هي معاهدة « ١٩٣٦ »

واليوم لا خوف من ثورة فرنسية ، ولا خوف من النازية .
نسم ثبرو انجلترا بقاءها . . ؟ بالشيوعية طبعاً . . !
فلتكن الشيوعية خطراً على بريطانيا كل الخطر . .
ولتكن بريطانيا موطئ قدم العزم على محاربتها في عرينها الاول
روسيا . .

ليكن ذلك . .

ويبقى ان نتساءل : ما صلتنا نحن بهذه الفتنة ؟

ما لنا وبريطانيا تحارب او تحارب ، تظفر او تهزم . . !
هل نحن احدي كتائب جيشها الثامن . . ؟

او نحن واياهم كما قال الشاعر العربي القديم :

اكلما حاربت خزاعة تدعو نبي كاني لامهم جمل ؟

ان « الشيوعية » ضوء احمر تسلطه بريطانيا على عيون
الحاكمين لتزيح به ابصارهم عن الهدف المتمثل في طردها ،
واجلائها

ما ذا كان يعنى بيفن حين قال اكثر من مرة - وفي مناسبات
عدة . . ان الشيوعية لن تسمح ببقاء الباشوات اذا دخلت مصر . !

قالها مرة في حديث صحفى . . وقالها لسفيرنا في لندن ونشرتها
مجلة المصور ضمن الوثائق السرية التي اذاعتها عن محادثات
« عمرو - بيفن » .

ليس ذلك ارجافاً وتخويفات هدف السياسة البريطانية بهما

الى فل ارادة الباشوات والحاكمين وعزلهم عن حركة المقاومة التي يدخرها الشعب للانجليز . . . ؟

لكن الباشوات الذين عرض بهم بين سيخلفون ظنونه . .
والذي يتخلى منهم عن جهاد امته لن يضرنا ولن نغير به -
لانه ساعثنا لن يكون مصريا .

الم يقل لنا « توماس بين » - ان المومس لا تسترد طهارتها
الاولى . . ؟

ان السياسة التي احتفرت وقيمة قديمة بين توفيق وعرابي ،
وبين الباشوات والشعب . . تريد اليوم ان تلعب نفس الدور ،
فتلقى في روع الحكام والزعماء ان الشعب يترصد لهم لينتهي
حيواتهم بفاجعة . . ويوهمون الشعب ان كبراءه ، وحكامه -
يسملون معهم ضده . .

ولن تقر للمومس عين حتى تحقق اليوم نفس النتائج الاثيمة
والوخيمة التي حققتها بالامس .

وهذا يفتح أعيننا على نقطة الارتكاز الثالثة التي يعتمد عليها
نفوذ الاستعمار .

شجعنا باسنا بيننا .

والسياسة البريطانية لكي تبقى وتستود ، توري نار
البغضاء والفرقة ابراء موصولا . . وتذر شعبنا المسكين يمور في
حديدتها المفرغ ، وصخرها الاصم . .

وهي في ذلك ذات براعة ومهارة . . ليست كالمفضل الاكبر
« مومسولينى » الذي كان يقيم لرعاياه المتدمرين حرب « المقلع » !
بل هي تضن علينا حتى بثمن الرصاص الذي تفرغه في صدورنا
وتركنا نحن نشترى الرصاص بأموالنا - ثم تعرضنا ،
فنطلقه لا في دماغ الاستعمار فنفجره تفجيرا . . بل نمزق به
انفسنا ، ونهرق به دماءنا . .

وهي تعتمد في تأليب بعضنا على بعض على سلاح تناهي في
الخطورة هو - تشريد الثقة التي تربطنا ، وإشاعة روح الاتهام في
المجتمع . . ولقد أفضى سفيها الحثيث في هذا السبيل الى ما
نحن فيه اليوم من استرابة في كل اخلاص ، وتصديق لكل
شائعة واتهام .

لقد قلنا من قبل : ان لبريطانيا سفارة اخرى غير رسمية .
سفارة مجهولة تحيط بكل شيء علما . . وتملا ضمير الامة شكاً
وريباً . .

ومهمتها الاولى تشويه سمعة الزعماء والناصحين حتى لا يؤمن
بهم الشعب . .

وهذا نبأ قريب ، من آلاف الانباء التي تؤكد هذه الحقيقة
أعمق تأكيد .

- في اثناء الحرب الاخيرة ، اوفى بداءتها - وقف الاستاذ الاكبر
المبرور الشيخ « محمد مصطفى المراغي » وقال في خطاب احد
اعياد الهجرة :

« ان العالم الاسلامي لن يخوض حرباً لاناقة له فيها ولا جمل . . »
وفي صبيحة الامسية التي اذيع فيها هذا الخطاب - كانت
شعوب الشرق الاسلامي تردد فيما نظن - هذه العبارة
المستنيرة . .

واسرها الانجليز في انفسهم . . واصدرت السفارة غير الرسمية
اوامرها الى « لجنة الاشاعات والتهم » ان تشكك الجماهير في
قيمة الشيخ المراغي ، وفي سلوكه . . وذات يوم ، وفي اعقاب صلاة
الجمعة ، اذا بالسماء تمطر سيلا من المنشورات . . تزعم ان
الشيخ المراغي حضر ليلة « كذا » حفلة ساهرة بالسفارة الانجليزية
. . . وانه شرب الخمر حتى فقد صوابه . . !

ان الانجليز لا يهدفون بمثل هذا التشهير الى هدم القيمة

الشخصية والشعبية ، للمواطن المخلص وحسب . . بل هم يستهدفون غاية افسد ، وهدفاً خطراً . .

فهم يعلمون ان مجرى حياة الامة هو مزيج احساسها وتفكيرها - وتسميم هذا المجرى يتأتى بجعل الاتهام وسوء الظن بعض عناصر شعورنا وتفكيرنا - ليفسدوا علينا امرنا كله .

وهم قوم لا يمجزهم ان يفتاتوا ويكذبوا -

ان نبيهم دزرائلى علمهم ان يكذبوا - ويكذبوا دائماً . . فلا بد ان يجدوا من يصدقهم . .

ولقد وجدوا فعلاً من يصدقهم . .

واسفاه علينا . . !

ما اسرع ما نصدق ، وما اسرع ما نحاكى . . فنحن لم نصدق خرضهم فحسب . . بل ذهبنا نحاكيمهم فى الارجاف ويلتمس بعضنا لبعض التهم والعيوب

كثيرون منا من أشبع بهذا السلوك النفسى روحه . . وصفا اليه قلبه . . وصار يعتمد فى محاربة مخالفيه فى الراى على هذا السلاح الموتور .

وان اقدامنا لتتشر بهؤلاء الذين وقفت أخلاقهم عن النمو . . اذا جاءهم احد بما لا تهوى أنفسهم ، قالوا :

هذا صنيع جماعات تبشيرية - وطليعة حرب صليبية . . او مؤامرة شيوعية . . !

وقد تلتقى بهؤلاء المرجفين انفسهم يقولون فى غباء مضحك : - ان الاسلام أخذ الشيوعية ، واخذ المسيحية ، وصنع منهما معاً نظاماً اسمه الاسلام . . ثم لا يتهمون انفسهم - طبعاً - بأنهم شيوعيون ، والاصليبيون !

مساكين . . انهم ضحايا الاستعمار الذى افسد علينا انفسنا . . وشرد ثقتنا بها ، وبالأخرين .

الخصام بالهيئات الدولية . .

ان الاستعمار يؤمن بعلم النفس ، ويعتمد عليه اعتمادا كبيرا . . وهو يعلم روح العصر الذي نعيش فيه . . هذا الروح الانقلابي المتحرر الذي لا يريد ان يرضخ لضيم ، ولا ان يسام كما تسام القطعان . .

لذلك اصطنع هيئات دولية تكون أداة تنفيذ ، وتسرية ، ومماثلة . .

فلو لم يكن في الدنيا آفة تسمى « مجلس الامن » لكانت مصر قد حلت قضيتها بسواعدها . . يوم كانت تمور مورا عنيقا عقيب وضع الحرب ازارها . .

ولكننا اتجهنا الى مجلس الامن ، وهيئة الامم . . وران علينا الركسون . . وقامت فتن . . واصبحنا اليوم في شغل بانفسنا عن عدونا . . وهذا ما يريده الاستعمار ، وهيئاته الدولية . . !
ماذا صنع لنا مجلس الامن . . ؟

لقد اوصانا بالاناة ، والحلم ، وحسن الضيافة . . !
وماذا صنمت هيئة الامم . . ؟

لقد استجابت لرغبة وزير خارجيتنا « صلاح الدين بك » وعطلت جلساتها يوم عيد الاضحى الماضي ، احتراما لنا ومجاملة كريمة منها . . !

هذه هي التضحية الوحيدة التي ضحت بها الهيئة من اجلنا .
شكر الله لها ، ورعاها . . !

الا انه اذا اراد قادتنا وحكامنا ان يصيبنا جنون ، فايحدثونا عن قيمة هذه الهيئات ومناقبها كثيرا .

اما نحن ، فنريد لهم مزيدا من العقل والفهم . . لذلك لن نحدثهم عن مناقبها . . بل عن مساوئها ، وهم بها عالمون .

ان هذه الهيئات التي يخدمنا الاستعمار بها - ويتظاهر بالتفزع حين نلوح بالاختصاص اليها - هي « القسابلية » التي استقبلت « اسرائيل » على كفيها الآثمين . وقالت لها كوني شريكة الجنب لهؤلاء العرب الصماليك . . !!

هي التي وقف « النقراشي » تحت سقفها ، يقول ما لم يقله احد قبله ، وما لن يقوله احد بعده . . والاعضاء المحترمون يتشاءبون . . حتى اذا قام ممثل بريطانيا ليتكلم . . اصغوا اصغاء جميلا ، وصدقوا افكاه - وتركوا مصر لا تزال تعج في قيسودها الغلاظ - الثقال . . !

وكل محاولة ، ولو فاجرة ، لدولة كبرى - تسارع هسهسه المنظمات الدولية لمناصرتها .

فاذا نوديت لفوث أمة ضعيفة مضطهدة ، فالهيئة نائمة . . ولعن الله من أيقظها . . !

ان احسن عبارة وصفت بهاهذه المنظمات - تلك العبارة الجامعة لكاتب أمريكي نعتها بأنها « وكالة حكومات » . .

فليتكشف عن ابصارنا غطاء الوهم . . ولنوفر ما نسفكه في تلك الهيئات من وقت ، وجهد

ولناخذ الحكمة ، ولو من وايزمان . . الذي كتب لامته يقول :

« ما من دولة في العالم بنيت بوعد ، او مرسوم . . انما يبني الدول : كفاح الشعوب عبر الاجيال . . »

لا مجلس الامن ، ولا هيئة الامم ، بقادرين على منحنا الحرية والاستقلال - الا اذا منحناهما نحن القدرة اولا . . من كفاحنا العاد ، وصراعنا الرهيب .

د - الاحتلال العسكري . .

وختام هذه المذكرات التي يعتمد عليها - الاحتلال العسكري

ان الانجليز متشبثون ببقاء جيشهم جائما فوق استقلالنا
وكرامتنا - لا خوفا من روسيا ، ولكن خوفا منا نحن . . ان
تاريخهم الاسود معنا يفزعهم ، حريتنا كاملة ، فلن نختارهم
ويوحى اليهم أننا حين نملك حلفاء ، ولا أصدقاء . .

لقد قال الشعب رأيه فيهم . . وهو لا يخرج عن رأى صاحبهم
« توماس بين » !

وقالت الحكومة رأيا واضحا كفلق الصبح في مجلس الامن . .
قالت : (١)

« ان الانجليز فضوليون ، يعرفون توثيق روابط الوحدة
بيننا ، ويعملون على هدمها . . ويخلقون الاقليات ويشجعونها ،
ويبقون البلاد في حال من التأخر ، والشقاق . .

« . . ان العهد الذي بيننا وبينهم بمعاهدة « ٣٦ » ليس
سوى اثر من آثار القرصنة التي نجهد في نسيانها . . ولم يبق في
هذه المعاهدة الا ما يهدد السلام .

« . . ولا ريب أنكم ستكونون عوننا لنا على استئصال هذا
السرطان الذي ينتاب السلام في وادي النيل . . »

بعد ابدائنا هذه الآراء فيهم - حكومة وشعبا - فقدوا كل أمل
في مودتنا - واعتقدوا أننا سنختار أصدقاءنا من غيرهم ، وربما من
أعدائهم . . لهذا قرروا الاحتفاظ بجيشهم المسلح لينالوا ما ربه منا
كرها ، واقتسارا . .

ان بريطانيا تضم لنا زراية أكيدة ، واحتقارا كبيرا . . بل هي
لا تضم ذلك . . وانما تنادى به وتصيح . وشاهدنا على ذلك
مستر أتلي نفسه . . .

(١) من خطاب النقراشي باشا بمجلس الامن

لقد وقف خطيبنا في المؤتمر السنوي لنقابات العمال البريطانيين
يوم ٥-٩-١٩٥٠ فقال بالحرف الواحد : ... (١)

« .. لقد قابلنا المسدوان الشيوعى فى الطريق حين تركنا
الهند ، والباكستان ، وسيلان ... تتمتع بكامل حريتها وسيادتها
أرايتم يا زعماء مصر .. ؟
اسمعت يا شعب مصر .. ؟

بل اسمعتم يا ضحايا الاستعمار ، فى العراق وفى الشام ؟
لو كنا مصدر أخافة وخطر .. لتركنا بريطانيا نتمتع بحريتنا ،
وسيادتنا .. ولو أن بريطانيا ترجو لنا وقارا ... مثل الوفاق
الذى ترجوه الهند وجاراتها .. لتغير تاريخنا .. أو على الأقل ،
لم تكن ستجد ذلك الضابط البريطانى الذى يطرد من أمامه
ضابطا مصرى أدخل عليه مكتبه فى « فايد » قائلا :

أخرج .. أنت هنا فى أرض انجليزية .. !
هذه .. مجتمعة .. هى الاستعمار ..

ا - المعاهدات ..

ب - التخويف بالشيوعية والحرب ..

ج - اغراء بعضنا ببعض ..

د - الخداع بالهيئات الدولية .

هـ - الاحتلال المسكرى

والآن .. اين الطريق .. طريق الحرية والخلاص . ؟

هذا هو الطريق * * *

فى نقيض الوسائل التى يتوسل بها الاستعمار لدعم نفوذهم تشمل

(١ - آخر لحظة العدد ٨٨)

وسائل تحسيريها وظفرنا - فاذا كانت أولى وسائله ، المعاهدات .
فليكن نهجنا . . لا معاهدة !

اننا مع بريطانيا في مفاوضات منذ عام ١٩٢١ ولم ننل منها سوى
تزييق صفوفنا ، وتحطيم مقاومتنا .

وتاريخ بريطانيا معنا ، ومع سوانا - لا يشجع أبدا على التفاؤل
بمستقبل أخلاقها السياسية . . ستظل كما هي تتوسل بكل موبقة
لنافسها الخاصة ، وأغراضها الاستعمارية . .

وما من زعيم مصرى ، الا وصرخ بهذه الحقيقة وهو خارج الحكم .
ونحن نهتم جدا بأراء زعمائنا خارج الحكم لانها غالبا لا تكون
ثمرة حرص ولا غرض . .

في يوم ٣١-٧-١٩٤٨ - صرح عزام باشا لجريدة المصرى هذا
التصريح :-

« ان موقف انجلترا معنا في هذه الحرب - يعنى حرب فلسطين
- دليل واضح على أن معاهدتنا معها لا قيمة لها ، الا حيث تكون
المصلحة الانجليزية . . ولا يمكن لعامل بعد هذه التجربة أن يرضى
بحلف مع بريطانيا كل نتائجه بالنسبة لنا أن تمتنع في أيام
شدتنا عن الوفاء بما فيه من التزامات »

هذا كلام رجل مسئول ، نختاره من دون الرجال والزعماء ،
لأنه شخصية محايدة - ويحتل مركزا محايدا - وهو لهذا أبعد
من غيره عن مواطن الريسة في أحداثه السياسية - على الأقل .
ولكن واقعيين ، فنسأل :

من اذن نحالف . . غير بريطانيا؟

هل نحالف أمريكا مثلا . . ؟

كلا . . ان أمريكا شريكة الاستعمار البريطانى في كل جريمة
منذ غادرت عزلتها . . وانطلقت في شره واستكلاب نحو السيطرة
السياسية على العالم ، وعلى البترول . .

● والاتفاق تام كذلك بينهما على أن تظل مصر دولة صغرى
.. ومنطقة النفوذ البريطانى ، يطلق فيها يده كما يشاء .. !
والدليل على هذا أن امريكا نفسها تقدمت للمسئولين فى مصر
بنصيحة فحواها - أن نحل مشاكلنا مع بريطانيا عن طريق
المفاوضة .. .

من اذن نحالف غير بريطانيا وامريكا .. ؟

واجيب - فلنحالف انفسنا .. وان نجسد احدا سوانا
يستطيع ان يدرا عنا الاعاصير .. وصدق المتنبي :

خيليك أنت ، لا من قلت خلى

وان كثر التجميل والكلام

واذا كان الحساد اليوم قد اصبحت منوطا بمؤثرات خارجية

عن ارادة الامم التى ترغبه وتريده .. .

واذا كان لاغنى لنا عن خليف فلنعمل بنصيحة عبد الرحمن
عزام باشسبا التى سلفت .. ولنستمع لصوت مصرى مسئول
آخر - هو الاستاذ حسن سليم بك - رئيس مكتب الاستعلامات
المصرى بشيويورك :

لقد وقف فى النادى الدولى للطلبة بجامعة « كوارمبيا »
وقال :

((ان روسيا لم تهاجم مصر قط .. اما انجلترا وفرنسا
فقد هاجمت كلتاها مصر أكثر من مرة ..))

كلمة واحدة ، فاسمعوها .. .

اما ان نحالف انفسنا ، ونمنع صداقتنا ، وسلامنا لكل من
يريدهما .. . واما اذا لم يكن من الحليف بد ، فلنحالف روسيا .. .
روسيا .. ؟!

نعم .. روسيا .. وهل بدارة بالناس من عار .. ؟

نحالف روسيا الدولة .. لا الشيوعية .. المذهب ..
لقد حالفها أمريكا - ولاتزال ملاذ الرأسمالية ..
وحالفها بريطانيا ، ولم تصر شيوعية ..

ومن منذ أربعة أعوام تقريرا حاولت أمريكا أن تفقد خلسة
اتفاقا مع روسيا دون أن تعلم بريطانيا وفرنسا .. لولا أن أعلن
مواوتوف ذلك في إذاعة له فضحت الدولة المحترمة جدا ..
أمريكا ! ..

إن دولتي « المحور » بريطانيا و أمريكا - لا تساعدنا ، ولا
تدعان الغير يساعدنا ..

لقد حرمونا من السلاح .. بينما أبدت روسيا استعدادها
لتزويدنا بالسلاح الذي نريد .. ولكن « المحور الاستعماري »
هدد حكوماتنا ، وحذرنا .. فإلى متى سنظل نجبن ، ونخاف ؟
لقد وافقت بريطانيا بعد طول تامل ورجاء أن تورد لنا بعض
الأسلحة في عام ١٩٥٦ ..

اتدرون - لماذا .. ؟

لكي تكون إسرائيل قد بلغت من القوة والتمكن ما يجعلنا نحجم
عن استعمال السلاح ضدها ! ..

هؤلاء هم الحلفاء الشرفاء .. !

وفي نفس الوقت عرض وزير روسيا المفوض باسم حكومته
على حكومتنا استعداد روسيا بالتزويدنا بكل ما نحتاجه من
طائرات ، وأسلحة ثقيلة وخفيفة على أن تسلمها لنا من فورها
.. ليس ذلك فقط .. بل وأبدت استعدادها لتسليمنا
ما يلزمنا من آلات الصناعة والزراعة الحديثة ..

فماذا كان جواب حكومتنا .. ؟

تجيبنا على ذلك صحيفة تنطق باسم الحكومة فتقول :

« والمفهوم أن ولاية الأمور قد تلقوا هذه العروض بالشكر » !!

كونوا انجليزا . .

لماذا تصر بريطانيا على أن تربطنا بعجلتها هي وأمريكا ؟

لماذا تريدان أن تسخرانا لمحاربة روسيا . . ؟

أليس يرضى بريطانيا أن تكون بريطانيين . . وان نتخلق
بأخلاقها الطاهرة الفاضلة . . ؟!

سنصنع ذلك . !

واذن فاسمعوا .

عند مائتات بلغاريا على تركيا سنة ١٨٧٥ - طلبت روسيا ،
وألمانيا ، والنمسا الى انجلترا ان توقع مذكرة احتجاج قاسية
على تركيا . . فرفض رئيس وزراء بريطانيا آنذ وهو . . .
« دزرائيلي » وقال : -

« كيف تساعد انجلترا في القضاء على دولة لها صالح في
بقائها . . ؟

« وكيف تتعاون مع بسمارك الصديق الذي لا يعتمد عليه ؟ »

رضي الله عن دزرائيلي هذا . . وسنردد اليوم نفس كلمته ،
ونقف نفس موقفه . . ونقول : -

كيف تساعد مصر في القضاء على دولة لها صالح في بقائها . .
وهي روسيا . . ؟

وكيف نتعاون مع بريطانيا . . الصديق الذي لا يعتمد عليه . ؟!

هذا اذا تسامحنا ، وافترضنا بريطانيا صديقا . .

واذا ما سئلت : كيف يكون لمصر صالح في بقاء روسيا سليمة
قوية . . ؟

أجيب : سلوا مستر « اتلى » فهو الذى يقول ذلك -لانا . .
وإذا كنتم قد نسيتم . . ، فأعيدوا تلاوة كلمته التى مرت
بنا من قبل ، والتى قال فيها:

«لقد قابلنا الشيوعية فى الطريق . حين تركنا الهند
والباكستان وسيلان تتمتع بكامل حريتها وسيادتها»
اذن لولا خوف بريطانيا من روسيا ، مامنحت هذه الاسم
استقلالها . .

ويوم ينتسابها نفس الحذر من جهتنا ، فان تتردد قط فى ان
تسلم لنا بحقوقنا كافة . .

ان بريطانيا تتدلل علينا ، وتستهتر بنا . . لانها على يقين
بأن سسادتنا لن يمدوا أيديهم البضة المترفة الى روسيا أبدا
ووالله لو أحسست أدنى احساس بأننا سنفعل لتكونن أسبق الى
ما تريد منا أنفسنا . .!

فلنحالف روسيا دون ان تكون شيوعيين . . ان ذلك ممكن جدا
بدليل ما قلناه من ان بريطانيا وأمریکا حالفها دون أن تصيرا
شيوعيين .

انه فى الوقت الذى تصرح فيه أمريكا بأن مصر منطقتة نفوذ
بريطانية . . يعلن وزير خارجية روسيا فى حديثه لجريدة المصرى
فى ٢٧ / ١١ / ١٩٥٠ ما يأتى :

«لقد سبق أن قلنا ورددنا على مسامع الزعماء المصريين
ان الاتحاد السوفيتى سيظل دائما فى جانب الشعب المصرى
فى نضاله ضد الاستعمار البريطانى ، وعند ما عرضت
المشكلة المصرية على هيئة الامم المتحدة منذ أربع سنوات -
دافع الاتحاد السوفيتى عن حقوق هذه البلاد التى أصيبت
فى كرامتها بوجود القوات الأجنبية فى أرضها - وفى كل عمل
تريد أن تقوم به الحكومة المصرية والشعب المصرى للتخلص

من القوات البريطانية سيجدان الاتحاد السوفيتى دائما الى
جانبيهما . .

« ان مكافضة الاستثمارات لتحديد في نظرنا ، ضمن نطاق
بلاد او بلدين ، بل اننا نرى وجوبها في كل بقعة من بقاع العالم »
« ان الحقوق الشرعية ، والمطالب الطبيعية للشعب المصرى
يجب ان يهتمسرف بها ، وان تتحقق . . »

فهلى بسد المقارنة بين هذين الموقفين . . موقف بريطانيا
وامريكا من جانب . . وموقفنا وسياسا من جانب آخر لتردد
في اختيار حليفنا ، اذا كان لابدلنا من حليف . . ؟

الاشتراكية . . والسلام !

واذا كان المركز الشاسانى للاستثمار في بلادنا هو تخويفنا
بالشيوعية ، وبالحرب . . فليكن موقفنا من الشيوعية ان نسبقها
بالاشتراكية . . ونطبق من نظمها ما يسمع به تطورنا
وامكانياتنا . .

ثم لماذا نخاف الشيوعية ؟

لقد اعلن « ستالين » ، واعلن ايضا « فيشنسكى » ان الشيوعية
والراسمالية تستطيعان ان تعيشا بلا حرب ولا خصام . .

ولكن الانجليسز يخوفونا بالشيوعية لترتمى في احضانهم ،
بل ويصنعون لانفسهم حركة معينة موسومة بالشيوعية
لينفذوا عن طريقها اغراضهم الاستعمارية الخبيثة . . !

واذا خوفونا بالحرب ، فليكن موقفنا السلام . . .

انه يوم يقر في ذهن السياسة البريطانية اننا لن نحارب معها
ولا في سبيلها . . واننا لن نسمح لبريطانيا ولا لامريكا ولا
لروسيا - ان تكون بلادنا ميدان الجيوشها . . وحقلا لتجربة

نسلحتها ، فان بريطانيا ستفكر في مسألتنا تفكيراً سديداً .
فلتردد كلمة المراهق من جديد لن نخوض حرباً لاناقة لنا فيها
ولا جمل . .

ولنعلن من اليسوس أننا «سلاميون» نريد السلام ، ونقف
بجانبه . .

ولكن - أي سلام نريد . . ؟

لقد صار السلام في عالم اليوم صنوفاً وأواناً . .

اننا نريد السلام الذي ثمره مصالحنا الخاصة ، وتكيفه
ظروفنا الخاصة دون أن نتأثر في هندا بأية مؤثرات أجنبية
أخرى . . وبعد ذلك لن يضيرنا أبداً ان نناصر السلام ،
وتشبهت به . .

لقد وقف رئيس جمهورية فرنسا يخطب في مؤتمر نقابة
المحامين الفرنسيين يوماً فقال : -

« لقد عرفت فرنسا الاحتلال الأجنبي ، وذاقت مرارة الاعتداء
ولذلك فشميتنا سوف يدافع عن استقلاله الوطني بكل شجاعة -
الا اننا لا نريد أن نخاطر بكياننا بمخاطرة جنونية . . ولذلك نريد
السلام لان السلام العالمي شرط أساسي للاستقلال الوطني . . »

واذا كان الشعب البريطاني قد وجد من الحرية ما يجعله
يصرخ يوماً في وجه وزير حريته لا حرب من أجل الدولار . . .
فاننا نمنح أنفسنا من الحرية ما نصرخ به في وجه المستعمرين
« لا حرب من أجل الدولار ، ولا من أجل الاستعمار . .

* *

وخطب السنيور (جونلر) وزير المعارف الإيطالية ، وعضو الحزب
الديمقراطي المسيحي فقال : -

« ان السياسة الخارجية للوزارة الإيطالية قائمة على مبدأ

دستورى هو - اننا ضد الحرب . . . وضد اى عدوان على ارض
الوطن . . . »

ان الاستعمار يعمل فى كل مكان لاعساد ضحاياه الحرب
وان خبراء الحرب من رجاله ليجوبون البلاد لينشئوا القواعد
والعسكرات . . . وبكل تبجح ووقاحة يتصرفون فى اخص
شئوننا كما لو كنا احدثشوارع لندن ، اوباريس ، اووشنطن .!
ولقد بلغت الجراة بالمقيم الفرنسى ان قال :

« اذا قامت حرب عالمية اخرى . . . فساركض الارض برجلي ،
فينبثق منها جيش جرار من المغاربة » . . . !!

واجابه الامير عبد الكريم الخطابى بمنشور لافح خاطب
فيه بنى وطنه قائلا :

« ان عقيدتكم ، وعزتكم ، ووطنيتكم لتحتم عليكم ان ترفضوا
دعوة الفرنسيين الى التطوع فى جيوشهم . لانهم يدفعون بكم
الى التضحية فى سبيل المحافظة على امبراطوريتهم المتداعية . . .
« ان ساعة تحريركم من ظلم المستعمر قد دقت . . . فلا
تؤخروها بانضمامكم الى جيوشه »!
مؤامرة على مقدساتنا . . .

وبلغت الجراة بأمريكا ان تجعل من « الظهران » قاعدة حربية
لضرب روسيا بالقنابل الذرية . . .

وما الظهران هذه . . . ؟

انها ارض بالحجاز بينها وبين المسجد الحرام ، ومسجد
الرسول مثل ملح البصر بالطائرة او هو اقرب . . .

ترى هل ستظل روسيا ساكنة ساجية ازاء هذه القاعدة
الحربية التى ستنقذ منها حاملات الموت والدمار . . . ؟

كلا . . . وعندئذ ستحاول لامحالة ضربها ، وضرب ما حولها

.. والذي حولها - يا اربعمائة مليون مسلم - هو مسجد رسولكم ، وبيت الله العتيق .. !

لماذا لم تتخذ أمريكا من الفاتيكان قاعدة حربية .. ؟

لأنها تخاف عليه ، وتقدهسه .. وتفار على ساحة القديس بطرس أن تسمى مقبرة ضخمة لما هناك من مقدسات .. !

لقد نشرت صحفنا كلها خبر اختيار أمريكا للظهران قاعدة حربية بحروف بارزة صارخة .. ومع هذا لم يتحرك أولئك الذين استطار بهم الذعر يوم همت بعض أعمسادة المسجد النبوي أن تنقض وتنداعى .. !

ترى هل المسألة من السهولة واليسر الى الجسد الذي لا يستجيشهم ، ويشير غيرتهم .. ؟!

انها مؤامرة خطيرة جدا تدبرها أمريكا يا سادتنا المؤمنين ..

فدعنا لانضمن ، وفي ضباطها يهود كثيرون - أن يضرب أحدهم في غمرة الحرب مقدساتنا من الجو ، فينسفها ويدروها .. بل لا نضمن أن تصنع أمريكا نفسها ذلك لتصطاد عصفورين بحجر .. فتدمر هذه المقدسات أولا .. وتذيع أن روسيا هي التي اقترفت الجريمة ، لتنتفع بحقدنا عليها ثانيا .. !

ان هذه الخطة الوقحة ، التي اختطها الاستعمار الامريكى ، لتفتح ابصارنا على حقيقة مستيقنة - هي أن أى تمكين دبلوماسى أو تجارى لدول المحور الاستعمارى فى بلد يفضى بها الى كارثة .. .

لقد دخلت أمريكا الحجاز تاجرة .. تستخرج البترول وتبتاعه .. وبعد عشية وضحاها أصبحت مستعمرة .. مستعمرة بكل معانى الكلمة .. وأنشأت دون اكتراث العالم الاسلامى كله قواعد حربية فى ارض يجب أن تظل محايدة نائية عن كل قتال وعراك ..

لترجع أمريكا من فيها ، ولتفادر الأرض المقدسة التي
دنستها .. والتي تريد بهامزينا من الدنسى والدمار .. .



ولتخرج انجلترا من بلادنا اذا كانت تخاف علينا من الشيوعية ،
فاستعمارها أكبر معرض عليها ، وداع اليها .. .
واذا كانت تحتلنا بدافع الحرب .. . فلتعلم اننا - حكومة
وشعبا - قد آثرنا السلام ، وقسررنا الا تكون الخنطة التي
تدور عليها طاحونة الاستعمار .

ليثقي بخصمنا بخص

واذا كان الاستعمار البريطاني يتوسل ايضا لبقائه بتبديد ثقة
كل منا بمواطنيه .. ويرسل الاشاعات الكاذبة ليفسد بها
ضمائرتنا فلنضع نحن اصابعنا في آذاننا .. .

وليس ثمت واجب يتجلى فيه الالتزام الفردي ، كهذا
الواجب .

فلاتصدقوا اشاعة ولا اتهاما .. ولا تروجوا لاشاعة ، ولا
اتهام .. .

لقد سأل الرسول عليه السلام رجلا يتهم آخر فقال :
« أترى هذه الشمس ؟ .. »

قال : نعم .. .

قال الرسول : على مثلها فاشهد ، او دع .. .

وكان يقول :

« لا تبلغوني عن اصحابي شيئا ، فاني احب ان اخبر
اليهم منشرح الصدر .

واخبر ان ابغض الناس اليه ، وشرهم مكانا عند الله .. .
الملتزمون للأبرياء العيب .

اذا جاء من يتهم مواطنا لك .. فاعرض عنه ، واذكر دائما

— ان السفارة البريطانية غير الرسمية . تعمل ليلا ونهارها لهذا القرض الدنيء ، فأفسد عليها امرها ومسماها .
ان زعماءنا — مهما نشئت في تقدمهم — ليسوا شرا خالصا .
وانما هم على اسوأ الخنسون والفروض ، قوم خلطوا مملا صالحا ، وآخر سيئا . فلننتفع بما فيهم من خير ، ولنعاونهم على التخلص مما بهم من سوء .

نحن .. وحدنا .

واذا كان الاستعمار يلهينا بالمنظمات الدولية ، فلنكن ايقاظا .. ولننتمد على انفسنا وحدها . ولنجعل صلتنا بتلك المنظمات صلة شكلية نبرز بها شخصيتنا الدولية فقط .. اما حقوقنا ومطالبنا فلنسلك اليها الطريق وحدنا .. وهذا يقضي بنا الى النقطة الاخيرة وهي :

الاحتلال المسلح .

في سنة ١٨٧٥ . قال دزرائيلي : ان روح إنجلترا هي الحرب — مادام ذلك دفاعا عن كيانها .
وفي سنة ١٩٤٢ — قال تشرشل : اذا خیرنا اعداؤنا بين الحرب او العار ، فسنختار الحرب .. وسنقاتل على الشواطئ ، و نقاتل على الهابط ، ونقاتل في الحقول ، وفي الشوارع ، وفي الجبال .. سنقاتل من اجل حريتنا .. ولن نستسلم ابدا .
وبعد ان وضعت الحرب الاخيرة اوزارها ، وقشلت المفاوضات الدائرة بين هولندا واندونيسيا — اذاع « احمد سوكارنو » رئيس جمهورية اندونيسيا هذا الامر على الشعب :
— عندما تدق الساعة الرابعة من صباح الغد . ستكون اندونيسيا جميعها — الحكومة والجيش والشعب — في حرب فعلية مع

هولاندا الفاصبة . . وسنقاتل بكل الاسلحة . . بالمدافع . .
والبنادق . . والخنجر . . والهرارات . . والعقارب . .
والثعابين . . ولينصر الله الوطن .

في هذه الكلمات الثلاث - يا مصر - تتمثل الوسيلة الواحدة
لاجلاء البريطانيين الفساة . . وكل طريق أخرى ان تفضى الا
الى مذلة ودمار .

واذا كانت الحكومة المصرية قد عاوتت الثوار سنة ١٩١٩
فان واجبها في سنة ١٩٥٠ ان تقود بنفسها الثورة المشروعة
ضد الاحتلال الرجيم متأسية بمبادئ انجلترا نفسها - التي
وضعها دزرائيلى ، وتشرشل .

نعم - اذا خيرتنا انجلترا بين الحرب والعازة . . وجب ان
نختار الحرب فورا

ولقد خيرتنا فعلا . . وبقي ان نختار . . فلنذكر جيدا -
ان الحياة لاتستحق ان نشترىها بالعبودية والرق . .

وان البريطانيين ان يغادروا بلادنا طوعا . . بل كرها ، وهم
صاغرون .

اذا لم نطرد الاستعمار

الى هنا نكون قد اجملنا الحديث في وسائل تمصير مصر،
وتخليصها . .

بقي ان نذكر - انه ليس حب الاستقلال وحده هو الذى يحتم
علينا هذا التمصير . . بل يحتمه قبل ذلك حب البقاء . .

ان الحوادث تمر بنا بسرعة، وهى تجلجل كدقات ناقوس
هائل - باننا اذا لم نشتمت شمل الاستعمار، فسيشتمت الاستعمار
شملنا . . انه يهيبء لحرب أهلية تقوم في مصر ليدفن تحت
انقاضها مصرنا .

لابد من الصراحة ، فاسمعوا . .

لقد بث الاستعمار الغامه في حياتنا كلها ، وأعددها للتفجير .
ولقد خلق «الفتنة الكبرى» بين هيئته كبيرة وحزب كبير . .
ولعب لعبته من وراء وراء . . وحقق للأسف - دون أن يظهر
على المسرح - كل ما يشتهى ويريد . . وأفلح بهذا في أن
ملاً بحوافز الشار ، ودواعى الانتقام - نفوسا كانت مفصمة
بحوافز الانقراض على الاستعمار ، ودولته ، وجيوشه . . !

ومن ناحية أخرى - خلق نشاطا شيوعيا انجليزيا -
وأقنع الحاكمين بأن العاصفة فوق رؤوسهم ، فمضوا ينكلون
بمواطنيهم . . وملئت نفوس أخرى بالحق . لاعلى الانجليز .
يل على مصريين مثلنا . ! وصار الشعب يلعن حكوماته والحكومات
تتعقب الشعب . . والمفسد الأكبر - ذلك الاستعمار البغيض
- رابض يقهقه في نشوة وجدل . !

فاذا كنا حريصين على وحدتنا ، وبقائنا - فلنرفع تجاه القلوب
المتناحرة ، والوجوه المتنافرة أملها القديم - يوم أن كانت
جميعا . . ولم تكن شتى . . أملها في الظفر بالاستعمار وطرده
واقصائه .

وإذا لم نفعل ، فستنطلق الاحقاد المكظومة ، والترات
المولولة فتمزقنا شر ممزق . . وعندئذ تدرع جيوش الاحتلال
شوارع القاهرة مرة أخرى . وتدوس الأشلاء المهينة . . أشلاء
الذين واتتهم الفرصة غير مرة ليحترروا . . فأبوا . . وضلوا
ضلالا بعيدا .

يا ليت قومي يعلمون . . !

إذا لم نلاق الاستعمار في ملحمة عاجلة ، فسنلاقي أنفسنا
. . حيث يفنى بأسنا بيننا ، ويضرب بعضنا رقاب بعض .
ولو وجد فينا اليوم رجل رشيد ، فلن تكون رسالته سوى

ان يركمنا جميعا في قديفة واحدة يقذف بها الاستعمار
البريطاني فيرديه ، ويحيينا ..

☆☆

أتخافون انجلترا يا رجال ؟

اذن ، فاقروا - وهذا خير ما نختم به الحديث - فداء
الانجليزى العظيم «توماس بين» الى الامريكان يوم وقف يحرضهم
على قتال بريطانيا فى حرب الاستقلال .

«سلونى عن الانجليز ، فانا اعرف بهم منكم .. انهم ان
يخرجوا من بلادكم الا كرها .. وان يغادروها الا مقهورين .»
فلا تجبنوا عن لقائهم ..

« ليس على وجه الارض انسان يمكن ان يكون جبانا -
المسألة كلها موازنة .. اما ان الخير فى الاقتحام ، او الخير
فى الهرب .. وليس العيب عيبكم .

« انكم توشكون ان تجعلوا اقوى دولة فى العالم تجشو على
ركبتيتها ، ولذلك فأنتم ترتعدون

« أيها الأخوة ..

« ثقوا بالنصر ..

« اجعلوا ايديكم تدافع عن اسلحتكم ، وليس العكس ..

« غطوا وجه الارض باساطيركم

« غنوا ، واستبسلاوا ..

« واحبوا ، وقاتلوا ..

« دعوا زوجاتكم ، واولادكم يفرحوا بموتكم شجعانا ..

« فكروا فى النصر وحده ..

وبعبارة

« ان الحوادث لا تصيرنا .. ولكن الذي
يصيرنا يعق ، هو تقديرنا لها .. وهذا
التقدير متروك لنا وحدنا .. »

مونتسان

الى هنا تنتهى فصول الكتاب ويبدأ ختامه . . . واقد حاولنا
جهد هذا البحث المقتصد الموجه - أن نفض عن أمتنا طغارة
البغى، ورهج الانكسار، ونعاونها في فض قيودها وأغلالها
وإذا كان الله لا يساعد الا الذين يساعدون أنفسهم ، فمما
لا ريب فيه اذن أن أمرنا متروك الينا . . . وأن مصايرنا قد
وضعت بين أيدينا . وهذه حقيقة يجب أن تملأ وعينا . ان
الشعوب التي كانت تبيع نفسها فتوبقها، قد ضجت في قيودها .
وهي اليوم غادية لتبتاع نفسها وتعتقها . . .
أترانا من هذه الشعوب الميممة وجهها شطر التحرر والانعتاق؟
إذا لم تكن منها - فيجب أن تكون .

وعلينا أن نبذل من أنفسنا طيب البذل لنبلغ ما نريد
ونحن مصرون على أن يعود الضمير « نا » الى الشعب ،
والحكومة معا . . . ان الاثنين مجندان اليوم لنضال شاق نبيل
يحرر مصر من أعدائها - ومن نفسها . . . وقد يرى بعض
المواطنين أن استنجدنا بالحكومة وتشبثنا بمزاملتها للامة في
الكفاح . نتيجة عدم الثقة ، أو ضعفها بالشعب . وهذا خرس
يحتاج الى الفطنة وحسن التقدير فنحن لانسى أن حركات التحرير
لم ترفع الويتها قط الا على اكتاف الحفاة العراة الكادحين . . . واكننا
لا ننسى ايضا أن سواس الامم اليوم غير سواسها بالامس ،
وأنهم مهما يحاولوا تجاهل الشعوب وحقوقها ، فانهم
يخشون بأسها ، ويحذرون انتفاضها . . . ويحاولون جهد
وعيهم أن يقابلوها في الطريق . فلماذا لا نتيح لهم هذا اللقاء ؟
ولبلادنا بالذات وضع يحتم علينا أن نعمل معا - حكومة
وشعبا - فنحن متفقون على أن محاولات النهوض جميعها مكتوب
لها البواء بالفشل ، ما دام ذلك السرطان الوقح يجوس خلالنا ،
ويهيئ في بلادنا . . .

ومن سوى الاستعمار البريطاني نعنيه بالسرطان . . . ؟
ونحن متفقون ايضا على ان عصر الخيانات قد تولى وتفوض
. . . واستيقظ في الشعب وجدان ثائر مستريب يقظان . لا يزدرد

الخيانة في يسر ، ولا يتجرع الافك في صمت . .

ومتفقون مرة ثالثة على ان ضعف شعب من الشعوب لم يعد مبررا لاستغلاله وهوانه . . فالشعوب كلها تتأخى اليوم تأخيا واعيا وهادفا . . ولا يسمع شعب حر ان تطوق حكومته شعبا آخر بالسلاسل والاصفاد .

من كان يظن - ان يقف في فرنسا رجل من بينها ، هو «موريس توريز» وتقف من ورائه صفوف الجماهير التي لا تنتهي عند مد البصر . . فيعارض والجماهير معه - ارسال جيش فرنسي الى الهند الصينية لمحاربتها ، واخضاعها للاستعمار الفرنسي الطائش . ويقول قولته الحرة :

« لن يحارب ابناؤنا واخوتنا من اجل استعمار غيرنا . . دعوا الهند الصينية تتحرر . . انهم بشر مثلنا » . . !
بل من كان يظن ، عندما تمادت الحكومة الفرنسية في استهتارها . . وطفقت تعد حملة عسكرية لتأديب تلك البلاد - ان يدعو « توريز » هذا جهارا علنا ، الى عرقلة الجهود الحربية الظالم الذي تكتله حكومته ضد الهند الصينية . . ثم يساهم ، ومعه نجل رئيس الجمهورية الفرنسية مساهمة عملية في تعويق الحملة ، وعرقلتها . . ؟

علام تدل هذه الظاهرة الخطيرة في تاريخ الحرية . .

انها انبثاقات ضمير جسد يد يتكون حثيثا في البشرية الجديدة . . البشرية التي تريد ان تسوى في التقدير والاحترام بين سائس الخيل ، وحامل الصولجان . . وبين اضعف الشعوب ، واقواها . . البشرية التي قررت ان تضع حكوماتها في خدمة مبادئها . . لا ان تسخر مبادئها لاغراض حكوماتها . .

البشرية التي وقفت على سرظف الذئاب بها . . وهو انها كانت تسير في موكب الحياة متصدعة متشتتة . . قد شطت نواها . . وانشقت عصاها - تظفر الذئاب منها بكل مستفردة قاصية . . فتعلمت وعرفت . . وقررت ان تجمع شملها ، وتضم الفتها ،

وتصل لنظامها ، وتتحرك في الموكب العتيق متشابكة الايدي . موصولة
الصفوف ..

الا انه من الفعلة ان يستهين اليوم حاكم بحق شعبه وحرية
- كائنا ما كانت قوة الحاكم ، وضمف الشعب ..

ومن الصفاقة الممتازة .. الا يرى حاكم شعبه جديرا بالحرية
- ثم يرى نفسه جديرا بالتفرد والاستبداد .. !

فلنذكر جيدا - ان الشعب مهما تكن ضلالتة وانحطاطه ،
جدير بالحرية جميعها . لان الحرية ليست مشوبة يشاب
الشعب بها ، او نوطا من اوطال الزينة والتكريم يزين صدره ..
بل هي حياته .. هي وجوده .. هي ضرورته الكبرى التي لا ينهض
بسواها ، ولا يحيا ..

واذا كنا قد اهتمدنا في مسيرنا عبر هذا الكتاب الى وسائل
التحرير والخلص كما نراها .. وربما ايضا كما يراها بقية
المواطنين ، فقد بقى امامنا ادراك حقيقة هامة .

يقول الفيلسوف « جوته » :

« ان التفكير سهل . . لكن العمل صعب .. والعمل وفاقا

التفكير هو اشق واجبات الحياة ، واهدائها سبيلا . »

ونحن الى اليوم شعب يحس كثيرا .. ويفكر قليلا .. ولا يعمل
ابدا . !

ولكنه مع ذلك ، وللاسباب التي ابديناها آنفا - يستحق
الحرية .. جميع الحرية .

والواجب الذي يتوسل به لحقه . يشع من كلمات ذلك
الفيلسوف .

فلنفكر لانفسنا في دقة وعمق .. ولنكون لها ، ونحن نفكر -

ارادة العمل .. فاذا ما انتهينا من انضاج الفكرة .. انتهينا ايضا

من انضاج الارادة .. عندئذ نعمل في ثبات وجراة وفق تفكيرنا

الواعى - لا وفق عواطفنا المتميمة .

انا حتى الآن - لا نجيد فن التفكير ، ولا فن العمل .. فتفكيرنا

وساوس غامضة . . وعملنا انفعالات غريبة .

هكذا نحن - الدولة والمجتمع

فالدولة لا تزال تؤمن ان خلاصها من المستعمر يأتي
بالسلم عن طريق المفاوضات . . ويأتي بالحرب عن طريق التمثيل
والمظاهرات . . والشعب على دينها من المؤمنين . . !

وهنا بين حظنا الوافر من قلة التفكير . . فلو اننا فكرنا
تفكيراً مركزاً لا انتهينا الى ان إنجلترا دولة تحترم القوة ،
وتحتقر الحق . .

دولة تؤمن بحقوق الانجليز اولاً . . ثم حقوق الانسان ثانياً
دولة يجلد رجالها عراً . . فتشفيء للجلادين دولة . .
ويكرم رجالها في نادي «العلمين» فتعص الأيدي التي أكرمتهم ،
وتبصق على الوجوه التي استقبلتهم . . !

نعم - لو اننا فكرنا ، لا عرضنا عن كل حاكم يتظاهر ضد الانجليز
. . لانه فقط يخدعنا ، ويطيبل امد مكثهم بيننا . . ولبحنا عن
الحاكم الذي يصنع كما صنع « احمد سوكارنو » - فيقود الامة
والجيش الى التحام هائل مع قوى الشر والضلال التي افنتنا
وسوت بنا التراب . . !

ما ذا وراء هذه المخاطرة من عاقبة . . ؟

الموت . . ؟

ما عذب الموت اذا حان الاجل!

ان رائداً من خيرة رواد الحرية ينادينا ويقول :

« هل بلغ من قيمة الحياة ، وحلاوة السلم ان نشتر بهما
بالاغلال والرق؟ وقانا الله ذلك . ! »

« لست ادري اي نهج يهجه غيري ، اما انا فأقول : الحرية . .

او الموت . ! »

وضعف تفكيرنا ايضا هو الذى يجعلنا نسيء الظن بالحسرية ،
ونخاف على النظام من ضراوتها ، ونحاصر الامة بسلسلة عاتية من
القوانين والاجراءات . .

ولو اننا فكرنا جيدا لعلمنا ان الجهد الذى نبذله لترويض
الشعب على احترام القوة ثم لا يجدى - خير منه جهد يبذل
لترويض الشعب على اجترام الواجب ، ثم يجدى ويفيد .
وضعف تفكيرنا ، هو الذى جعلنا عزيزين واشتاتنا . . يكد
بعضنا لبعض ، ويلعن بعضنا بعضا . . .

ولو اننا فكرنا قليلا ، لرأينا الارض المشتركة التى تجمعنا
كافة - من كل الهيئات ، والاحزاب - هذه الارض المشتركة
هى « ارادة التحرير » . .

كلنا - نحن الشعب - متفقون على ارادة التحرر مما نحن
فيه من ذل واستعمار واستبداد . والخلاف بيننا فى الوسائل ،
وهو لهذا خلاف صغير لا يعناق سوى القلوب الصغيرة ، والعقول
الصغيرة . . فلنتكفل معا فى هذه التخوم المشتركة ، والارض
الجامعة

التفكير السديد - والعمل وفق هذا التفكير - هما الخطوة
الاولى يا رواد التحرير والانقاذ

والشعب الذى يكتظ فكره بالبغضاء ، والثأر ، والحسد ،
والتربص ، والعجز ، والتلاوم - لن يكون شيئا ما ، فى يوم ما . .
وسيظل رمزا لما تستطيع هذه الافكار الرديئة السوداء ان
تصنعه لتمزيق الامم والجماعات

فلنفسل تفكيرنا من هذه الاوضاع . . ولنواجه مشكلتنا
الكبرى بأفكار مستقيمة مستبشرة باسلة . . ولنحول
طاقة الثأر والحقد التى تغص بها نفوسنا الى عدونا الحق -
المستعمر ، والمستبد . .

لماذا تتخاذل أفكارنا وتراجع عندما نوجهها للملاقة مشكلة
الاستعمار البريطاني ... ؟

ولماذا تقاوم وتدفع من تلقاء نفسها لتضرب بعضنا ببعض ،
وتجعلنا عبرة وأحاديث .. ؟

لماذا تجبن في الأولى - وتستبسل في الثانية .. ؟
السبب أنها أفكار طائشة ... بل هي ليست أفكارا على
الإطلاق .. لكنها انفعالات غريزة مجسونة تتسرب خلالها -
والأسفاه - كل طاقتنا .. حتى اذا يمنا كفاحنا شطرا الاستعمار
- لم نجد من أنفسنا ناصرا ولا ملتحدا .. !
يقول فيلسوف حكيم :

« ان المرء لا تضيره الحوادث ، وانما الذي يضيره بحق - هو
تقديره للحوادث .. »

فلنقدر الحوادث التي تقع بيننا - نحن المواطنين - تقديرا
كريما يرتفع بنا عن التناحر ..
ولنقدر الحوادث التي تجرى بيننا وبين الاستعمار تقديرا
يندفع بنا الى مناهضته ومقاتلته

ما أروع محمدا عليه السلام ، وهو يقول لصاحبه في الفار :
ما ظنك باثنين .. الله ثالثهما .. !

ان هذا التفكير المؤمن بالنصر ، الواثق بالفوز ، والعمل وفق
هذا التفكير ، وكان ساعته يمتثل في الهدوء ورباطة الجأش
- هما اللذان صرفا عنه ابصار الدين لو نظر أحدهم تحت قدمه
لرآه .. ورأى صاحبه معه .. !

لقد انتهى العهد الذي كنا نساءل فيه : ماذا نعمل .. ؟

وحل عهد جديد شعاره : يجب أن نعمل

وبعد - فما أنت ذا تبلغ ختام الكتاب .

اتظن أن ما بينك وبينه قد انتهى ببلوغ هذا الختام .. ؟

كلا .. فالان يتلقفه هقلك الكامن ، ووعيك الباطن ليصوغا
لك منه فكرة .. ويرسما نهجا .. ويصطنعا ارادة تحدث بعد
ذلك امرا ..

فلندعهما الي حين ..

ولنتصور من جديد ذلك الشوط الذي قطعناه .. لقد
سرنا هكذا ...

شعب في السلاسل .

الحرية .. هي الخلاص .

الشخصية .. كي تعمل

تمصير مصر .

**

ان هذه الشمس التي تشرق علينا كل صباح تذكرنا بدفء
الحرية ..

وهذا الفجر الذي تتشقق عنه ارحام الليالي واكمامها -
يذكرنا بضوء الحرية ..

وهذا الربيع في مهرجانه الطليق الحافل .. يستجيش جنيننا
الي الحرية ..

وصيحة آتية من وراء القرون تنادي الطفاة :-

متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

تسوقنا سوقا عنيفا لمعركة الحرية ..

واذا سئلنا - ما نحن .. ؟ كان جوابنا :

نحن شعب يريد ان يصحح شخصيته .

ويحقق حريته ..

ويعلن في ربوعه ونجوعه حقوق الانسان .